دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	البعد السياسي في شعر السياب و الشابي : دراسة مقارنة
المصدر:	الاقلام
الناشر:	وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
المؤلف الرئيسي:	العياري، محمد
المجلد/العدد:	س 18, ع 7
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1983
الشهر:	تموز
الصفحات:	92 - 95
رقم MD:	178543
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الشعراء العراقيون ، الشعر العربي، الشعراء التونسيون ، التجربة الشعرية ، الإبداع الأدبي ، الشابي ، أبو القاسم، السياب ، بدر شاكر ، الثورة العراقية ، الأحوال السياسية ، التحليل الأدبي ، الأسلوب الادبي ، مقاومة الاحتلال ، القومية العربية، النضال السياسي ، الشعر السياسي، الدراسات المقارنة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/178543

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

البعد السياسي في شعر السياب والشابي

- دراسة مقارنة -

محمد العياري

المقارنة بين السياب والشابي تستدعي منهجيا استحضار الظروف التي حفت بهما والتجربة التي مارساها معاًفي مجالات متشابهة وذلك لنقف على رؤ يتهما للأحداث ولنتعرف على النسق الفكري الذي توخياه لعلاجها. وهذا مايجعل العودة الى حياة الشاعرين والمناخ الاجتماعي الذي ترعرعا فيه أمرا أساسيا إيمانا من ان الفنان مهما يكن انتماؤه واتجاهه يخضع للبيئة الاجتماعية التي احتضنته في مرحلة من مراحل إبداعه الفني.

وبمراجعة البيئة الاجتماعية التي درج فيها الشاعران يتضح لنا تشابههما في اكثر من موطن على نحو جعل شعرهما يلتصق بمشاغل المضطهدين والمعذبين سواء أكانوا متواجدين بأرض العراق وتونس اومتواجدين خارج تخومهما، وهوماجعل الأغراض المطروقة تتشابه والأنغام يضاهي بعضها بعضاً حتى ليوشك الشاعران يعزفا على قيثارة واحدة بشكل لم يكن قط عفويا ولا وليد صدفة عمياء. إنما هي الظروف التي فرضت ذلك فجعلت الآهات والمواقف تتشابه حيناً وتتطابق حيناً آخر.

ويستدعي ذلك ان نستعرض ملامح من حياة الشاعرين ومارافقها من ملابسات تركت آثارها واضحة في جانب من شعرهما هو الشعر السياسي.

ولد أبو القاسم الشابي سنة 1909 وتوفي سنة 1934 كان ميلاده. في قرية من قرى الجنوب التونسي هي قرية الشابية بضواحي توزر مدينة الشعر والنخيل الباسقات وتلقى دراسته بجامع الزيتونة بحاضرة تونس في فترة شهدت يقظة سياسية وثقافية قادتها مجموعة من الشباب التونسي بزعامة عبدالعزيز الثعالبي وعلي باش حانبه بالاضافة الى رجع الحركة الاصلاحية التي قادها الأفغاني ومن بعده محمد عبده ورشيد رضا. وعلى مستوى الأدب شعرا ونثراً كان للحركة الرومنتيكية التي قادها جبران خليل جبران بالمهجر وجماعة أبولو بقيادة أحمد زكي أبو شادي تأثيرهما الحاسم في وجدان أبي القاسم الشابي مما جعل شعره ونثره الوجه الآخر للأدب العربي الحديث في ربوع المغرب العربي الكبير. ورغم ان الشابي توفي في ريعان الشباب فإنه ترك ديوانا شعرياً بعنوان: أغاني الحياة ومجموعة من الرسائل بعنوان رسائل الشابي ومحاضرة بعنوان: الخيال الشعري عند العرب. تلك ملامح من حياة ابي القاسم الشابي أما بدر شاكر السياب فقد ولد سنة 1926 وتوفي سنة 1964.

ولد بجنوب العراق وعلى التحديد بقرية جيكور التي تتفيأ ظلال النخيل جنوب مدينة البصرة، العاصمة التاريخية لنهضة الفكر العربي وتألقه في مختلف المجالات. ودرس بكلية التربية ببغداد حيث أحرز على الاجازة في الآداب الأنكليزية وقد عمل في الوسط السياسي ايضا. وحينما اندلعت ثورة تموز المجيدة سنة 1958 ابتهج بها وآزرها وروج لها. إلاّ أن النظام السياسي الذي انتصب في أعقاب الثورة لم ترقه بعض من مواقف السياب فعزله من وظيفته وضيتنه عليه فاغترب مدة من الزمن انكفأ فيها على نفسه يعاني الأزمات وحدة المرض الذي أصابه حتى وافته منيته سنة 1964.

ويكتسي المجتمع الذي ينتمي اليه الشاعران طابعا قروياً بما يعنيه من براءة وعفوية. وكانت الأرض وقد كساها النخيل في جيكورو الشابية معاً رومنسية الملامح تنطلق النفوس في رحابها لتنعم بالجمال والدفء والمناخ الشاعري. والى جانب ذلك كان المجتمع العربي ينوء بأثقال الرجعية التي ظلت ترسخ نفوذها وتعزز سيطرة الماضي على الحاضر والمستقبل مما جعل حياتنا في النصف الاول من

القرن العشرين تعاني الاستلاب واليتم والانتبات عن العصر.

ويبدو ان الشاعرين ادركا عمق المسافة الفاصلة بين الواقع المتردي والمثال الذي يحلمان به كبديل لهذا الواقع. وليست القضية في النهاية سوى قضية سياسية تنتظر من الجيل العربي الجديد أن يتصدى لها ويعالجها فيصحح المسار ويدل على الطريق الصحيح. ومن هناك خاض الشاعران معركة الشعر السياسي في مجالات محددة تتمثل في نقد الأوضاع الراهنة اذذاك والالتزام بالنضال والتفاؤ ل بالمستقبل.

١) نقد الأوضاع الراهنة: تلك الأوضاع التي عاصرت الشاعرين أوضاع متردية للغاية، إذ كانت معظم الشعوب العربية تنوء بأعباء الاستعمار الغربي بما في ذكر العراق وتونس وكان الوعي العربي ضعيفاً أوغائبا تماماً. والتحولات السياسية رهينة بالوعي الجماهيري قبل كل شي .ء

هذا الوضع أثار الشاعرين فمضيا ينقدانه ويفضحان مافيه من جمود وعقم على صعيد الحاضر والمستقبل

يقول الشابي منددا بالجمود الاجتماعي.

كل قلب حمل الخسف وما مل من ذل الحياة الأرذل
كل شعب قد طغت فيه الدما دون ان يثأر للحق الجلي
قلة للموت يطويه فما حظه غير الفناء الأنكل (١)

ويقول السياب منددا بالصمت على الجوع والحرمان الذي عاناه العراق الشقيق.

وفي العراق جوع
وينثر الغلال فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشوان والحجر
رحى تدور في الحقول حولها بشر
مطر. . مطر. . مطر. . (٢)

صمت الجماهير على الهوان حافز قوي للشاعرين ليضاعفا من اساليب التنديد التي تهز العواطف هزاً وتحرك النفوس البشرية بعدما عانت من سبات القرون. أي ان الشاعرين يسعيان الى احداث يقظة تدرك فيها الجماهير وضعها البائس واشكال القهر والقمع التي كانت توظف كلها لتأخير الوعي العربي ونشر الجبن والتخاذل في صفوف الملايين. وقد ادرك الشابي هذه الوضعية بعمق لعله يفوق رؤية السياب، فحمل على العزائم الواهية يعريها ويلح عليها في النهوض حتى تكون جديرة بالحياة.

إذا ماطمحت الى غاية ركبت المنى ونسيت الحذر
ومن لايحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر
وقالت لي الأرض لما سألت أيا أم هل تكرهين البشر؟
أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لايماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر. (٣)

إن الشابي مؤمن بدينا ميكية الحياة وبحتمية التغيير والتطور ولكن ذلك لن يحدث تلقائياً بل لابد من الثورة والتضحية لانجاز التغيير في الوضع البشري ونحت الكيان بشكل جديد تتجسم فيه طموحات الأجيال وأحلامها في الحرية والكرامة واختيار المصير بأيدي أهله لابأيدي الغرباء وشذاذ الآفاق.

هذا التغيير ممكن لكن من ذا الذي سيجسده من هو القادر على إخراجه من حيز الخيال الى حيز الحقيقة الواقعة؟

إن الجيل الجديد هووحده القادر على على انجاز هذا التحول وتفجير الوعي الهاجع في الأعماق حتى يستحيل النضال سنة يدين بها المجتمع ويتبناها ويستعذب الموت في سبيلها. النضال المتواصل هو الرهان الوحيد لكسب المعركة ضد الغزاة وتحرير الوطن من الهيمنة الأجنبية فإذا الحاضر غير الماضي واليوم غير الأمس.

في الضفة الأخرى يكاد العراق
يومى، ياأهلا بأبنائي
لو غنوة، لوضمة، لو عناق
لسعفة خضراء أو برعم
في أرضي السكرى برؤيا غد
إنا مع الصبح على موعد
رغم الدجى ياعراق
ريف وراء الشط بين النخيل
يغفو على حلم طويل طويل (٤)

هكذا تتصاعد أنغام الشاعر من أعماق النفس تتحدى اليأس الجاثم على النفوس وتزرع الأمل في الغد البديل، ومن هناك ظل تفجير الكبرياء لدى الجماهير هاجسا قطريا في أعماق السياب والشابي معاً، من أجل ان تقاوم الجماهير على جبهتين اثنتين جبهة تواجه السلط الغازية وجبهة تواجه الأدوات التي تبارك نفوذ الأجنبي وترسخه وقد تأكد لأبي القاسم الشابي على وجه الخصوص أن سلطات الحماية الفرنسية تستخدم عملاءها للابقاء على وعي الجماهير غائبا حتى تحرف الذات والتاريخ وتراث الأجداد، لأنها عناصر أساسية في الكفاح المضاد الذي كان يندلع بين الحين والآخر وكانت فرنسا تخشاه على أمنها أمن رعاياها ببلادنا. . ذلك ماجعل سلطات الحماية تستنجد ببعض المحظوظين فتؤجرهم وتضفي عليهم هالة من الاجلال والاكبار حتى لاتطولهم أيدي الغاضبين غير ان ابا القاسم الشابي تفطن الى مايكتسه هذا التواطؤ من

خطورة على مصير بلادنا سياسياً وحضارياً مختلع على عن العملاء ونعت الجذوع النخرة التي بلغت درجة من التعفن استحال معها الاصلاح وغدا استئصالها أمرا متأكدا حفاظاً على مصير الوطن وتأمينا على غده في ضمير الغيب.

ايها الشعب ليتني كنت حطاباً
فأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول إذا سالت
تهد القبور رمس أبرمس
ليت لي قوة العواصف ياشعبي
فألقي إليك ثورة نفسي(٥)

إن نقد الاوضاع الاجتماعية ودرجة الوعي لدى الجماهير مرحلة تمهيدية لتحرير الوطن. والتحرير رهين بدرجة البذل التي تقدم عليها الجماهير. اذ كلما كان البذل سخياً طويت المراحل واختصر الطريق لتحقيق الهدف المنشود غير ان كثافة الجهل وصلف السياسة كانا عاملا حاسما في عزل الشاعرين عن جمهورهما بشكل أصبح فيه شاعر الجماهير متهما في سلامة عقله وصحة عقيدته وهو الاتهام الذي وجه للشابي وبدر شاكر السياب معاً مما حملهما على العزلة والاغتراب عن المجتمع الذي أفنيا في سبيله خير ايامهما. كان الغاب هو البديل لابي القاسم الشابي عن شعبه وجماهيره وكان السفر والترحال بديلا لبدر شاكر السياب عن الجماهير التي غنى لها وفجر وعيها على مدى زمني ينيف على العشرين عاماً.

٢ ـ الالتزام السياسي في شعر السياب والشابي

نعني بالالتزام ذلك المفهوم الذي اقرته الفلسفة الوجودية على الأخص في جعل الانسان يختار مواقفه وتتحمل تبعاتها على كافة المستويات وحينما نستقرىء اشعار السياب والشابي نجد مفهوم الالتزام ماثلاً في كليهما، وليس معنى ذلك انهما تبنيا نفس الفلسفة للاعراب عن نفس الاتجاه. هذا السياب يندد بمظالم عبدالكريم قاسم.

«عملاء قاسم يطلقون النار آه على الربيع
سيذوب ماجمعوه من مال حرام كالجليد
ليعود ماء منه تطفح كل ساقية يعيد
ألق الحياة إلى الغصون اليابسة فتستعيد
مالقى منها في الشتاء القاسمي فلا يضيع. (٦)

وهذا الشابي يحمل على الطغاة ويندد بهم

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياه
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وسرت تشوه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه
رويدك لايخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففي الأفق الرحب تهول الظلام وتصف الرعود وعصف الرياح
حذار فتحت الرماد اللهيب ومن يبذر الشوك يجني الجراح(٧)

وعلى نفس الوتيرة غنى السياب للأحرار في تونس والجزائر وحيى الثورة الشعبية التي زعزعت قلاع الاستعمار الفرنسي وهزت اركانه وأشاعت الرعب في صفوف عملائه وأنصاره.

يقول محييا ثورة الجزائر:

سلاما بلاد اللظى واللهيب
ومأوى اليتامى وأرض القبور
اتى الغيث وانحل عقد السحاب
فروى ثرى جائعا للبذور
سلاما بلاد الثكالى بلاد الأيامى (٨)
سلاما، سلاماً، سلاما.

وحيا ثورة تونس على لسان رفيق يودع رفيقته وهما يحلمان بالحب والثورة والابتسام على شفاه الحزانى.

إلى الملتقى وانطوى الموعد
وظل الغد
غد الثائرين القريب
يداً بيد من غمار اللهيب
سنرقى إلى القمة العالية
وشعرك حقل حباه المغيب
أزاهيره القانية
لنا الموكب الطالع
وصبح الغد الساطع
وآماله الزاهيه (٩)

إن موقف الشاعر يجسد الاتجاه القومي الذي تبلور مع الدعوة الى القومية العربية فكان احتضان الثورة في تونس والجزائر وجهاً من وجوه العاطفة القومية لدى بدر شاكر السياب بالاضافة الى إيمانه بقضية الانسان حيثما كان والدفاع عنها بكل مايملك من طاقات ابداعية تجدد ارادات البشر وتعزز ايمانهم بحقهم في الحياة والحرية والكرامة وسط عالم يتكالب على سلب الحريات وامتهان الكرامات البشرية بأساليب تتباين في ممارساتها وتوجهاتها. وقد كان الشابي والسياب يؤمنان بانتصار المظلومين ويعدان ذلك حتمية لامناص من ان تتحقق مهما تكن سياط الظالمين ومهما تكن سطوتهم.

إذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد ان يستجيب القدر
ولابد لليل ان ينجلي
ولابد للقيد ان ينكسر (١٠)

هكذا اذن يغدو النضال السياسي لتحقيق العزة والكرامة مسألة تعود أساسا إلى الشعوب ذاتها تعود الى المقهورين أنفسهم فإذا توفر

هذا العزم صار التحرير بديهية يقرها منطق البذل والعطاء الانساني برغم الليل الطويل والصراع العنيد بما يتميز به من كر وفر ومد وجزر.

(٣) التفاؤل:

التفاؤ ل عامل حاسم في أي مغامرة إنسانية وبدونه تتصلب الحياة وتتجهم وتصبح عرضة للفشل والخسران. ومن هناك كان النضال السياسي مفتقرا كأشد مايكون الى التفاؤ ل باعتباره قوة دافعة على مسرح الأحداث السياسية تؤهل أصحابها لأن يدخلوا معترك النضال وهم مسلحون بالتفاؤ ل وبالثقة في المستقبل الذين يحلمون به بديلا لحاضر لم يعديلبي الطموحات ولايستجيب للأشواق المتجددة في أعماق النفوس.

هكذا تفطن السياب والشابي الى التفاؤ ل سلاحا ضرورياً في النضال السياسي وسجلاه في اشعارهما. كان السياب يشهد الأوضاع المتردية بالعراق قبل ان تندلع فيه ثورة تموز المجيدة فتبدو له الأوضاع زائلة وحالات طارئة تقول ديناميكية الحياة بزوالها وتجاوزها ويتجلى ذلك في كثير من القصائد التي عبر فيها الشاعر عن التفاؤ ل مبشرا بزوال الرق الجديد وليل الأسر الطويل حتى يكون ذلك غذاء روحياً للمناضلين فلا ينكسرون ولا يثني التعقب والترصد عزائمهم اي ان النضال الحق يقوم على النفس الطويل وعلى الصبر والتضحيات وبدونهما تنتفي الانتصارات الرائعة والتحولات السياسية المشهودة وهي مواقف تعد لدى شاعرنا حصيلة للتجربة النضالية التي خاضها ونتيجة للتأملات والتجارب الشخصية التي عمقت وعيه بالأحداث واعطت للنضال طابعه المميز له ممثلا في الكر والفر والمد والجزر

«اتسير وحدك في الظلام
اتسير والاشباح تعترض السبيل بلا رفيق
فأحبيتها والذئب يعوي من بعيد، من بعيد
أنا سوف أمضي باحثا عنها، سألقاها هناك
عند السراب، وسوف ابني مخدعين لنا هناك
قالت ورجع ماتبوح به الصدى
«أنا من تريد». (١١)

هكذا يعتبر السياب التفاؤ ل عمدة الكفاح السياسي وبفقد انه يبتعد النصر أو ينتفي ويبقى أمنية لاتدرك وحلما لاتطوله يد.

وعلى نفس المنوال تصدى الشابي للتفاؤ ل كعامل اساسي في تحرير الشعوب عامة وتحرير تونس خاصة وهو موقف تردد على لسانه في أكثر من قصيد مما يجعل من التفاؤ ل فكرة مركزية في اشعاره.

إن ذا عصر ظلمة غير أني
من وراء الظلام شمت صباحه
ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
سترد الحياة يوما وشاحه (١٢)

والتفاؤ ل في شعر الشابي نابع من إيمانه بمفهوم الفعل لدى الجماهير أي ان الجماهير تملك قدرها وتصنع مصيرها ولذلك يصقل الأمل ويشحذ كلما واجهته العراقيل أو اصطدم بالمجهول. وقد توجه الشابي بقصيد إلى الشعب سجل فيه خواطره عن الأمل والتفاؤ ل جاعلاً من شحذ العزائم وتطويق الهموم شرطاً أساسياً في نجاح النضال السياسي.

ايـن ياشعب قلبك الخافق الحساس
أين الطموح والأحلام
أين ياشعب روحك الشاعر الفنان
اين الخيال والالهام
إن يم الحياة يدوي حواليك
فأين المغامر المقدام. (١٣)

وهكذا كان السياب والشابي من شعراء النضال السياسي في ابعاده المختلفة على أساس أن تحرير الأوطان وتحرير الانسان يقتضي تعبئة جماهيرية تؤمن بحتمية المواجهة وتتقبل التضحيات عن طواعية لتتحدى قوى الشر والقمع التي غزت أوطاننا وهجنت حضارتنا وحرفت تاريخنا وعمقت فينا النزعات الاقليمية والعقلية البدائية ليتاح لها ان تمسك بزمام الأمور وتتركنا على هامش الحياة.

وبذلك يعد الشابي والسياب طليعة أمامية في كفاحنا السياسي رغم وعورة الطريق والقمع بوجهيه المادي والمعنوي ومع ذلك عاش الشاعران ملحمة التحدي بكل ابعادها وسقطها شهيدين للمبادىء التي آمنا بها وناضلا في سبيل تحقيقها.

هوامش

١) ابو القاسم الشابي ـ ديوان أغاني الحياة قصيد: خله للموت
٢) بدر شاكر السياب ـ ديوان انشودة المطر. قصيد أنشودة المطر
٣) الشابي: أغاني الحياة ـ قصيد إرادة الحياة
٤) السياب: ديوان المعبد الغريق: قصيد عام ١٩٥٣
٥) الشابي: أغاني الحياة. قصيد النبي المجهول
٦) السياب: ديوان منزل الاقنان قصيد الى العراق الثائر
٧) الشابي: أغاني الحياة ـ قصيد الى طغاة العالم
٨) السياب: ديوان منزل الاقنان: قصيد: ربيع الجزائر
٩) السياب: ديوان: انشودة المطر. قصيد: يوم الطغاة الأخير
١٠) الشابي: أغاني الحياة ـ قصيد إرادة الحياة
١١) السياب: ديوان ازهار وأساطير. قصيد في السوق القديم
١٢) الشابي: أغاني الحياة: قصيد: تونس الجميلة
١٣) الشابي: أغاني الحياة: قصيد الى الشعب